مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية

البروفسور سعاد بيلديرم

جامعة مرمرة/ تركيا

قسمنا بحثنا هذا إلى قسمين :في **القسم الأول** تحدثنا عن العمل والنشاط الإسلامي في الجمهورية التركية بشكل مختصر.وفي القسم الثاني تحدثنا بنوع من التفصيل حول فكر بديع الزمان سعيد النورسي ودعوته حسب طلب القائمين على هذه الحلقة التي حملت عنوان: "**بديع الزمان سعيد النورسي :فكره ودعوته** ".

نسبة المسلمين في تركيا –التي يبلغ عدد سكانها خمسة وستون مليونا – ٩٩٪، قسم منهم بعيد عن الوعي والسلوك الإسلاميين بسبب الوسط والبيئة التي يعيشون فيها. وبعضهم ليبرالي الإتجاه، وبعضهم اشتراكي. إلا أن الاشتراكيين التحقوا بالليبراليين بعد فشل الاشتراكية في العالم أجمع، وفي الاتحاد السوفيتي خاصة. وعدد هذا القسم قليل، ولكن نفوذهم في إدارة البلد وفي المجالات الاقتصادية والجيش كبير؛ لإنهم هم الذين انتفعوا من إمكانيات الدولة في القرن الأخير، ونالوا دعم بعض المراكز الغربية.

وفي مقابل هذا فان معظم الشعب التركي متمسك بالإسلام. وقد تزعزع التمسك التقليدي في القرن العشرين في أوساط المثقفين إلى حد كبير. ولكن هذه الزعزعة لم تؤدِ إلى انسلاخهم عن الإسلام، كما كان ينتظر بعض المعارضين للإسلام. بل لعبت هذه الزعزعة دور التطعيم وأدت إلى تقوية البنية الإسلامية. وشهد الربع الأخير من القرن العشرين صحوة إسلامية واسعة لدى الشعب التركي ولاسيما المثقفين منهم. وتحققت هذه النتيجة المحمودة بجهود أهل العلم والعرفان الذين شكلوا عدة حلقات حولهم لأجل خدمات الإسلام.

أنشأ هذا الشعب المسلم خلال الخمس وثلاثين سنة الأخيرة أكثر من عشرين ألف مسجد، وأكثر من خمسة آلاف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وأكثر من

خمسمائة وواحد وستين ثانوية إسلامية (مدارس الأئمة والخطباء)، وحوالي ثلاثمائة ثانوية خاصة، وأكثر من ألف قسم داخلي لطلاب الثانويات والجامعات للبنين وللبنات. وأسسوا الأوقاف الإسلامية بأموال طائلة، وهكذا وفقوا في تربية قسم كبير من النشىء الجديد تربية إسلامية. وظهر بعد غياب كامل نسبة كبيرة من الشبان والشابات المتمسكين بالإسلام في المدارس والجامعات.

واتجهت بعض الجماعات الإسلامية إلى نشر الكتب والمجلات والجرائد، حتى وصلت مبيعات الصحافة الإسلامية إلى أكثر من مليون نسخة يومياً. خلال الربع الأخير من هذا القرن بعد أن كانت غير موجودة في الساحة من قبل. وهذا العدد يشكل ثلث مجموع مبيعات الصحافة التركية. ونحن نشاهد هذا التطور لدى قادة الجماعات الإسلامية بشكل بارز، فهؤلاء القادة ما كانوا يهتمون بالصحافة من قبل. أما الآن فإن كل جماعة تصدر مجلة أو مجلات، ومعظم قادتها يكتبون افتتاحيات هذه المجلات.

وهناك حزب الرفاه الإسلامي الإتجاه، وهو يلعب دوراً مهماً في سياسة تركيا، وقد نال ٢٢٪ تقريباً من الأصوات في الانتخابات التي جرت في أوآخر سنة ١٩٩٥م. وهذه النسبة لا تكفي لإعطاء حزب الرفاه حق التمثيل لأكثرية الشعب المسلم.

نعم شعب تركيا شعب مسلم، ولكن هناك عدة موانع تحول دون اجتماع أكثرية الأصوات في حزب إسلامي جديد. **أولاً**: اعتياد الناس ودعمهم التقليدي لبعض الأحزاب. **ثانياً**: كون كل الأحزاب في الظاهر أحزاباً علمانية حتى حزب الرفاه. وفي الحقيقة فان تأسيس حزب ديني ممنوع منعاً باتاً في تركيا. وعلى كل حزب أن يقبل العلمانية وانقلابات أتاتورك. لذا فلا يمكن لأي حزب وضع برنامج إسلامي، وهذا يشمل حزب الرفاه أيضاً. وفي هذا الإطار لم يدعم حزب الرفاه إلا من يعرف أعضاءه وسلوكهم عن طريق المعرفة الشخصية. **ثالثاً**: ساقت تجربة الحياة الديموقراطية كثيراً من الناس إلى الاحتياط، لأنهم شاهدوا بعض الناس الذين يدّعون الإسلام والإخلاص ولكن أبدت الأيام أنهم نفعيون، وهمهم الأول منافعهم الشخصية. وشاهدوا أيضاً من يدعي المهارة في سياسة الناس وإدارة البلد، ولكن

أبدت الأيام أنه ليس كذلك، بل أضر بالمسلمين بسبب عدم كفاءته. إذن ليس لأي شخص مسلم ولا لأي جماعة إسلامية توقع اجتماع معظم المسلمين تحت قيادتها فور الخروج إلى ميدان السياسة، إذ لا بد من تجربة وامتحان.

رابعاً: إن "لب" الدولة وجوهرها في تركيا معيّر ومبرمج باتجاه الغرب. والديمقراطية فيها تعمل فقط في الساحة التي تسمح بها مبادىء أتاتورك وانقلاباته. وحتى لو حصل حزب على أكثرية الأصوات فليس في إمكانه تغيير النظام، واذا لم يتم إقناع المسؤولين في جهاز الدولة واستمالتهم إلى الإسلام فلا يمكن عمل أي شيء جاد. ولهذا السبب فإن حزب الرفاه عندما أصبح مشاركاً في الحكم، لم يُعط له فرصة تقديم أي خدمة إسلامية، بل على العكس فقد المتدينون كثيراً من الحقوق التي كانوا قد حصلوا عليها في السابق. إذ أغلقت أكثر من ٣٠٠ مدرسة لتحفيظ القرآن، ومنع لبس العمامة والعباءة، ومنعت الطالبات في الجامعات والموظفات في الدوائر الرسمية من لبس الزي الإسلامي، وبدأت الفعاليات لسد مدارس الأئمة والخطباء، وبلغ التعاون مع إسرائيل الذروة، وبدأت الأوقاف الإسلامية تلاقي مضايقات عديدة،كما طرد ١٦١ ضابطاً من الجيش بتهمة الرجعية.

قد يملك حزب الرفاه قابلية إصلاح جهاز الإدارة لو أعطيت الفرصة له. ولكن المعارضين ألّفوا جبهة معارضة وجروا البلد إلى توتر مستمر تحت شعار: "لا يمكن لـ ٢٠٪ حكم ٨٠٪ من الشعب". وحزب الرفاه الآن في موقع الأسير، ولا يملك سوى الإذعان والتوقيع على المطاليب. بينما كانت الحرية قد ازدادت في الفترة الأخيرة أكثر من السابق واكتسبت الحياة الدينية حيوية كبيرة، وبدأ زعماء الأحزاب يتسابقون لكسب ود وتأييد المتدينين بتقديم خدمات دينية نافعة. فمثلاً قامت " «طانسوتشيللر» قبل دخول حزب الرفاه إلى الحكومة الإئتلافية بفتح " ٦٠ " ثانوية إسلامية (مدارس الائمة والخطباء)، بينما لم يتم في عهد حزب الرفاه فتح مدرسة واحدة من هذه المدارس. ليس هذا فحسب بل ظهر احتمال إغلاق هذه المدارس في عهده.

أمام ضغوط السلطات الرسمية كانت الجماعات الإسلامية قد غابت عن الأنظار، ودخلت في السراديب انتظاراً للوقت المناسب للظهور، ومن أجل الحفاظ

على الموجود. ثم بدأت تظهر رؤوسها شيئاً فشيئاً بعد مجيء العهد الديموقراطي، وأخذت في النمو بعد الستينات، ثم أصبحت قوة مؤثرة في البلد بعد التسعينات. إلا أن جماعة فضيلة الأستاذ سعيد النورسي كانت وحدها في الساحة منذ سنة ١٩٢٥م حتى سنة ١٩٦٥م و كان دستورها :" أعظم نشاط وأكبر حيطة " تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : "لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا ".

والخلاصة أن كل المسؤولين من الأحزاب السياسية بدأوا يثنون على الإسلام ويفتخرون –طوعاً أو كرهاً –بهوياتهم الإسلامية. وبدأ المسلمون يفكرون بالحياة: لماذا تكون الدنيا دنيا الترقي للأجانب، ودنيا التردي للمسلمين –كما قال الأستاذ النورسي رحمه الله– لا بد أن نحيا حياتنا الإسلامية وننظمها بالمبادىء الإسلامية حتى ننتفع بها في واقعنا اليوم ونستفيد منها في حياتنا الأخروية.

وأثبت من جديد أن الإسلام هو الهوية الوحيدة التي ينتمي إليها، ويفتخر بها الأتراك ولا يبغون عنها بديلا.

ولا بد أن نلاحظ هذه النقطة: أن الإسلام لا يأخذ قوته إلا من كونه هو الحق، ولولا ذلك لكانت كل القوى المادية من سلطة الإدارة ومناهج التعليم والتربية الرسمية، والحياة الاقتصادية والصحافة الخليعة وطرق الإغراء وإثارة الشهوات...إلخ قد محت الإسلام. ولكن ظهر من جديد أن الحقيقة مثل الشمس لا يمكن إخفاؤها نهائياً.

والمقلدون لغير المسلمين يقودون البلد من تسعين سنة، ولكن ماذا حققوا من النجاح ولو من الناحية المادية؟ لقد تخلوا عن الإسلام كرشوة للغرب ولكسب الدنيا، ولكن دون جدوى.

إن هذا الفشل دفع الناس إلى الفكر الإسلامي، وادّعى المقلدون انتسابهم إلى أوروبا. ولكن الأوروبيين لم يقبلوا هذا الإدّعاء قبولاً حقيقياً، بل عاملوا تركيا معاملة العدو؛ لأنها مهما بعدت عن الإسلام وتشبهت بالأوروبيين إلا أنها بلد مسلم في نظرهم. غير أن الأوروبيين مكروا مكراً كُبّاراً لإبعاد تركيا عن العالم الإسلامي وقالوا: "نعم إن تركيا من الدول الأوروبية" وأدخلوها –تفضلاً منهم وتكرماً – إلى

المجلس الأوروبي وبعض المنظمات الأوروبية مثل NATO وO E C D ، ولكن الشعب الذي شاهد مواقفهم في قبرص، والبوسنة، والهرسك، وأذربيجان، والشيشان، والكويت، والعراق، وفلسطين، كشف حقيقة أمرهم دون شك.

والعامل في سياسة تركيا الحالية ليس عهد الجمهورية الذي بدأ منذ سبعين عاماً، بل يلعب ماضيه طوال القرون السابقة دوراً كبيراً في تعيين هذه السياسة. لذا يجب علينا أن ننظر إلى الأحداث من منظار أوسع. فبينما يتحد الأوروبيون الذين تقاتلوا وتناحروا فيما بينهم إلى منتصف القرن العشرين، فما الداعي لتشتيت شمل المسلمين؟ ولماذا نكون نحن المسلمين محكومين بالفرقة؟ ولماذا -مثلاً- لا تشكل الدول الإسلامية فيما بينها سوقاً مشتركة وفعالة؟ ولماذا لا تتشاور هذه الدول فيما بينها في الأمور السياسية ؟ولماذا لا تتعاون فيما بينها في المجالات الثقافية والاقتصادية والتجارية والسياسية ؟.

وهنا نتساءل :هل يليق المسلمون حالياً بهذه الرسالة ؟ والجواب في تقديرنا هو: لا.

علينا أن نبذل جهودنا ونظهر كل طاقاتنا الكامنة، ونتخلى عن بعض صفاتنا غير الإسلامية.

على المسلمين :

١. أن يثبتوا حذقهم في الناحية الإدارية والعلمية والتكنولوجية، حتى يقتنع الناس بكفايتهم.
٢. أن يُظهروا للناس الكمالات الخلقية للإسلام في أنفسهم أولاً، وفي معاملتهم للناس ثانياً.

ومتى شاهد الناس الغافلون عن الإسلام هذه الأوصاف الحسنة لدى المسلمين فإن معظمهم سيلتحقون بأمة الإجابة، وبهذا سيتحقق سر من أسرار قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً..﴾ والله أعلم.

مكانة النورسي في الفكر وفي الحركة الإسلامية في القرن العشرين

كانت مدنية أوروبا في القرن التاسع عشر مغرورة جداً نتيجة للنجاحات التي سجلتها في الساحة المادية. وكانت ترى أن هذه المدنية ستكون الأمل والمثل الأعلى للبشرية جمعاء. كانت الفلسفة الوضعية تنكر وجود الله، وتنكر القيم الدينية والحياة الأخروية والحياة الروحية للإنسان. وكانت هذه العقلية البعيدة عن الحكمة تفرز وتنشىء أناساً يعانون أمراضاً نفسية.

هذه المدنية قادت الإنسانية في مطلع القرن العشرين إلى الحرب العالمية الأولى وأغرقتها في بحر من الدماء. وبدلاً من أخذ العبرة من هذه المأساة ومن هذه النكبة الكبيرة فقد سعت دول أوروبا الغربية المادية إلى توسيع مستعمراتها وساحة نفوذها لإشباع أطماعها. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تبق من الدول الإسلامية (التي يبلغ عددها الآن ٤٥ دولة) خارج الاستعمار الأوروبي الغربي سوى ثلاث دول هي: تركيا وإيران وأفغانستان. أما دول أوروبا الشرقية وجزء كبير من قارة آسيا فقد دخلت تحت الاستعمار الشيوعي الروسي الذي كان الوجه الآخر للمادية الأوروبية.

وإزاء ذلك ظهرت ثلاثة مواقف في العالم الإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى تجاه المدنية الغربية:

١. موقف الذين يريدون الحفاظ على التقاليد السابقة نفسها.
٢. موقف الذين رأوا التقدم والخلاص في تقليد المدنية الغربية وتبنيها كلياً.
٣. موقف الذين حاولوا تعريف المسلمين بشروط العصر، دون أن يضحوا بأسس الإسلام.

في الموقف الثالث نرى نظرات مختلفة ومتباعدة بعضها عن البعض الآخر. وأول ما يتبادر إلى الأذهان من الشخصيات الممثلة لهذه المواقف هم :جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد إقبال، والأمير عبد القادر، والمهدي السوداني، وأحمد جودت باشا، وسعيد حليم باشا، ومحمد عاكف، وحسن البنا.

وعلى الرغم أن كثيراً من بريق المدنية الغربية خبا بعد الحرب العالمية الأولى، إلا أن القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية التي كانت تملكها مكنتها من

الاستمرار في سيطرتها. ثم ساقت هذه المدنية بعد عشرين سنة تقريباً الإنسانية إلى الحرب العالمية الثانية، وربما كان عدد الذين قتلوا في هاتين الحربين أكثر من قتلى جميع الحروب منذ بدء التاريخ الإنساني. ولم تنقطع الدماء والنيران بعد تأسيس جمعية الأمم المتحدة، فنحن لم ننسَ بعد مأساة البوسنة والهرسك طوال ثلاث سنوات، والمذابح التي جرت فيها وهي في وسط أوروبا، واكتفت دول أوروبا بالتفرج فقط على هذه المأساة الإنسانية.

وعلى الرغم من وضوح عدم لياقة و استطاعة هذه المدنية ان تكون رائدة ومرشدة للإنسانية، إلا أنها استطاعت بقوة دعايتها وبوسائل استعمارها الثقافي والفكري أن تنفث أفكارها وقيَمَها في جميع البلدان الإسلامية. ولما كانت البنية الإسلامية لا تتقبل هذه القيم فقد أدى هذا إلى الكثير من الاضطراب وعدم القبول. ولا يزال هذا جارياً في كثير من البلدان.

ظهر العديد من التنظيمات وحركات الوعي في البلدان الإسلامية. وسنقوم بتلخيص موقف بديع الزمان سعيد النورسي الذي ظهر في أوآخر عهد الدولة العثمانية.

وتكمن أهمية بديع الزمان في كونه استطاع تشخيص البذور السامة التي تحملها المدنية والعلمانية الغربية، التي لم تكن قد ظهرت نقائصها بعد في بنيتها، والتي كانت تدعي أنها تشكل البديل للوحي الإلهي. لقد شخّص هذه البذور وحلّلها جيداً، ثم نقض هذه المدنية من جذورها وأسسها، ثم قام بعد ذلك بتقديم الأدوية القرآنية الناجعة للأمراض وللعلل الروحية والمعنوية لهذا العصر. إن أفكاره وحركته تتقدم وتستمر منذ ما يقارب ثمانين سنة، لذا فهي تُعدُّ بحق من أكثر التجارب والنماذج لفتاً للأنظار في العالم الإسلامي. لذا فبعد نجاحه في تركيا نرى أن كثيراً من بلدان آسيا الوسطى التركية بدأت بالاستفادة من دعوته.

لقد تلقى النورسي علومه الإسلامية من مشاهير علماء عصره،واستطاع أن يفرض نفسه في المحافل العلمية في اسطنبول التي كانت مركز وقلب الدولة العثمانية، وانتخب عضواً في دار الحكمة الإسلامية، التي كانت تُعدّ أكبر مرجع في العلوم الإسلامية في أوآخر عهد الدولة العثمانية. ومع أنه لم يكن مكلفاً بالخدمة العسكرية

لكونه من علماء الدين إلا أنه شكل ميليشيا مسلحة من طلابه، وأصبح قائداً متطوعا وحارب الروس في الحرب العالمية الأولى، ودافع عن وطنه وجرح في الحرب ووقع في الأسر. وبعد أن قضى سنتين في الأسر استطاع الهرب بعد نشوب ثورة أكتوبر الشيوعية عام ١٩١٧م في روسيا، مستفيداً من حالة الاضطراب والفوضى التي سادت هناك. وبعد رجوعه إلى اسطنبول استمر في جهاده ضد قوات الاحتلال الغربي. ولما كان السلطان العثماني بمثابة الأسير في يد قوات الاحتلال فقد أيدّ حرب الاستقلال التي بدأت في الأناضول، وبعد حرب الاستقلال رأى أن الفكر الغربي مسيطر على أذهان رجال الدولة، وتأكد أن النضال السياسي غير ممكن لذا انزوى للعبادة. وكان هذا الإنزواء بداية مرحلة جديدة. ولكون رجال الدولة من أصحاب الأفكار الغربية قلقوا من الجهاد المعنوي الذي كان يمثله بديع الزمان، لذا لاحقوه ولم يتركوا له فرصة للراحة، مع أنه لم يقترف أي شيء يعاقب عليه القانون. وهذا المجاهد الذي حارب الأعداء الخارجيين حتى ذلك الحين لاقى معاملة الأعداء من قبل رجال الدولة وهو في الخمسين من عمره، وحتى وفاته سنة ١٩٦٠م عن عمرٍ بلغ ٨٧ سنة. وتعرض هو وتلاميذه إلى معاملة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً؛ إذ بلغ عدد الدعاوى القضائية المقدمة ضدهم ٢٥٠٠ دعوى، ولكنها انتهت جميعاً بالبراءة[١].

كانت حركة التجديد لدى النورسي تستند إلى الأسس التالية :

١. من الضروري تقوية أسس الإيمان. لأن أفكار المسلم وحياته العملية وعالمه بأجمعه مبني على هذه الأسس، فإن لم تكن الأسس قوية فإن القيام بتصليح السقف أو الجدران وتزيينها لن ينقذ البناية. لقد كان يقول :

إن أهم خطر يتعرض له المسلمون اليوم هو فساد قلوبهم بالضلال الوارد إليهم من العلوم ومن الفلسفة، واهتزاز وتقوّض إيمانهم"[٢]. لقد تأمل وفكر بعمق في آيات القرآن الكريم، وكتب مستلهماً منها (١٣٠) رسالة أثبت فيها وجود الله

---

(١) السيرة الذاتية لبديع الزمان، اسطنبول، ١٩٩١.
أخلاء الله، د. سعاد بيلديرم وآخرون، ص٦٩-١٠٠.

(٢) اللمعات، بديع الزمان النورسي، ص ١٥٨.

تعالى، ووحدانيته وصفات كماله، وضرورة الوحي والنبوة، وعقيدة الآخرة والحشر والإيمان بالقدر، ومواضيع اخرى عديدة بأسلوب مقنع ورصين، يشبع حاجة العقل والقلب[1].

عندما كان يتناول هذه المسائل كان يقوم أولاً بإزالة الشبهات المثارة حولها باسم الفلسفة أو باسم العلم. ومع أنه كان ضليعاً في الفلسفة إلا أنه لم يكن يذكر أسماء الفلاسفة في أثناء الرد عليهم، بل يكتفي بإيراد ما يدفع تلك الشبهات ويقوّضها. وعندما يورد أدلته وبراهينه لا يخاطب المسلمين فقط بل يخاطب كل من يستعمل عقله، وإن كان بعيداً عن الإيمان. وقد تحول مئات الآلاف من الشباب والمثقفين الذين تربوا وتشربوا الثقافة والفلسفة الوضعية إلى بر الإيمان اليقيني بسببه، ولم تكن الحركة الإيمانية التي قادها النورسي موجهة فقط نحو الأفراد، بل نحو إنقاذ المجتمع عن طريق تربية الأفراد.

وقد صدق أحد المؤرخين عندما قال عنه : «إنه الرجل الذي قلب خطط الملحدين في تركيا رأساً على عقب».

٢. كان يرى ضرورة إصلاح المدارس الدينية[2]. إذ لم تعد الطرق القديمة لعلم الكلام قادرة على إرساء أسس الإيمان في هذا العصر الحديث؛ لأن هذه المدارس الدينية كانت قد أهملت العلوم الطبيعية.

لقد تعلم النورسي من القرآن الكريم أن لله كتابين :كتاب الكون الذي تتجلى فيه صفة الإرادة، ثم القرآن الكريم الذي تجلت فيه صفة كلامه. والقرآن الكريم يطلق اسم "الآية" على كل وحدة من وحدات هذين الكتابين. لذا لا يمكن وجود تناقض بين هذين العلمين؛ أي بين العلم الكوني وبين العلم القرآني، فالحقيقة واحدة، وهو يقول: «العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، والعلوم المدنية هي نور العقل، ومن امتزاجهما تتجلى الحقيقة. والطالب يطير بهذين الجناحين، فإن افترقا تولد التعصب عند الأول، والشبهة والتردد والحيلة عند الثاني»[3].

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي :حياته وآثاره، إحسان قاسم الصالحي، ص١٦٢-١٦٣. وانظر إعجاز القرآن في مؤلفات النورسي، محمد رفعي كلجي، اسطنبول (رسالة دكتوراه). النورسي :متكلم العصر الحديث، محسن عبد الحميد.

(٢) المناظرات، بديع الزمان النورسي، ص٧٥-٧٦.

(٣) المصدر السابق ، ص٢٧.

لقد اختلفت وتعددت ردود الفعل لدى المسلمين في العصر الحديث. فقد توهم بعضهم أن العلوم الوضعية تمثل الحقيقة المطلقة والموضوعية، لذا فقد اختاروا طريق تأييد القرآن بهذه العلوم. أما بعضهم فقد أهمل هذه العلوم تماماً. واقترح بعضهم "أسلمة" المعرفة. وبالمقابل فقد نظر بعض المفكرين إلى هذه المحاولة على أنها ليست سوى "تغريب الإسلام"[١].

وضع النورسي المقاييس التالية في تقييم العلم: «سيتبع المسلمون البرهان، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الطريق»[٢]. " إن أسمى هدف لهذا الكون هو العبودية الإنسانية الكلية أمام تجلي الربوبية. والغاية القصوى للإنسان هي الوصول إلى هذه العبودية بالعلوم وبالكمالات"[٣].

إن خلق العالم يتبع قانون التكامل. ولما كان الإنسان ثمرة من ثمرات هذا العالم وجزء من أجزائه، لذا نجد لديه ميلاً للترقي يستقي من ميله للتكامل. وهذا الميل ينمو بتلاحق الأفكار وهذا التلاحق الفكري يتوسع بمبادىء التكامل، ومبادىء التكامل تلقي بذور علوم الكون إلى الأرض التي يربيها الزمان ويلقحها. وتكبر هذه البذور وتنمو في ظل تجارب تدريجية .

لقد جاء الإنسان إلى هذا العالم لكي يتكامل بالدعاء وبالعلم، وكل شيء مرتبط بالعلم من ناحية الماهية والقابلية والاستعداد، وأساس ومعدن ونور وروح جميع العلوم الحقيقية هو معرفة الله".

٣. لقد أكد النورسي مفهوم وحدة العلوم، وبيّن أن القرآن هو المصدر الأساس للعلم والمعرفة، وأن العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية تنبثق من مشكاة القرآن الكريم، وترتكز على وجه التحديد على أسماء الله الحسنى. لقد تأثر النورسي بهذه النظرة بالإمام الغزالي –رحمه الله– لكنه طوّر نظرة الغزالي هذه بمحاولته الجادة لإنشاء جامعة الزهراء التي أراد لها أن تكون معملاً ومختبراً

---

(١) بديع الزمان والمعرفة الإسلامية في عصر العلم، كمال أكه، ندوة بديع الزمان في اسطنبول، ١٩٩٥.

(٢) الخطبة الشامية، بديع الزمان النورسي، ص٢٣.

(٣) الكلمات، بديع الزمان النورسي، ص٣٥٥.

لأسلمة العلوم وتأصيلها وفق المنظور القرآني للكون والحياة والإنسان. وفي دعوته إلى فرض رقابة قرآنية أو شرعية على العلوم الوافدة من الغرب عمل حكيم من النورسي. نعم إنه لم يرسم خطة ولم يضع منهجاً لعملية الأسلمة، ولكنه اكتفى -في ضوء طبيعة المواجهة والأحوال الجارية -برسم الإطار العام والضوابط الأساسية التي تحكم هذه العملية. وبهذا يكون النورسي قد أضحى علماً من أعلام إسلامية المعرفة[1].

٤. لقد دخل النورسي في الصراع الحضاري والثقافي مع المدنية الغربية بحصيلة قرآنية واعية، فجعل القرآن يدافع عن نفسه، ووظّف حقائق القرآن ومعارفه الناصعة في سحق أسس الحياة التي تقوم عليها المدنية الغربية، فأثبت فشلها، وبيّن عدم قدرتها على قيادة مركب البشرية، بل أثبت أنها قد ضللت البشرية وموّهتها عن رؤية الحق والحقيقة. لقد كان النورسي في هذا يتكلم بلسان الواقع وبحاله المؤسف حين تركت الأمة شرعة الله ومنهاجه، وحذت حذو الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وكان كلامه دعوة صريحة لاستدعاء القرآن الكريم إلى عالم الواقع الحياتي والمعرفي، ليكون المرجعية العظمى للأمة في تصحيح عقيدتها وثقافتها، وإقامة حضارتها ومدنيتها. وعرض بكل قوة وجرأة القرآن بديلاً حضارياً ومعرفياً، ومنهجاً حياتياً لا تصلح حياة البشر إلا بهدايته. ولذلك تراه عقد عدة مقارنات تثبت ذلك، مثل: «مقارنته أسس الحياة الاجتماعية بين المنظور القرآني والمنظور الغربي»[2].

٥. أوضح النورسي موقف المسلم تجاه المدنية الغربية. فكل شيء في الغرب ليس خيراً خالصا ولا شراً خالصاً، فالمدنية الغربية تحتوي على بعض القيم المشتركة مع المسلمين. فكما استفاد الغرب من المدنية اليونانية والمدنية الرومانية فإنه استفاد أيضا من المدنية الإسلامية. إذن يجب أخذ الحسن؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها. كما يجب ترك كل ما لا يتلائم مع القرآن.

---

(١) المحاكمات، بديع الزمان النورسي، ص١٦.

(٢) إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، زياد الدغامين، ١٩٩٦.

وهو يقارن بين الفلسفة الغربية العلمانية وبين الحكمة القرآنية، من ناحية الأهمية التي يعطيها كل طرف للحياة الاجتماعية للإنسان فيقول:

« إن نقطة استناد الفلسفة في الحياة الاجتماعية هي القوة وهدفها المنفعة، ودستورها في الحياة هو الصراع، وهي تقدم العنصرية؛ أي القومية من ناحيتها السلبية كرابطة بين الجماعات. وثمرات هذه النظرة هي إشباع النزوات النفسية وزيادة حاجات البشر.بينما شأن القوة هو الاعتداء، وشأن المنفعة هو الصراع لأنها لن تكون كافية للجميع وشأن دستور الصراع هو الصدام، وشأن العنصرية هو الاعتداء لأن غذاءها هو ابتلاع الآخرين. لكل هذه الأسباب فقد سلبت سعادة البشرية.

ولكن الحكمة القرآنية تستند إلى الحق بدل القوة، وغايتها هي الفضيلة والرضا الإلهي بدلاً من المنفعة، ودستورها في الحياة هو التعاون بدلاً من الصراع. وترى أن الرابطة التي تربط بين الجماعات هي الرابطة الدينية والمهنية والوطن، وغايتها وضع سد أمام اعتداءات الأهواء والنزوات وتشجيع الروح للارتفاع إلى الأعالي، وإشباع حاجاته الروحية السامية وإرشاد الإنسان إلى الكمالات الإنسانية. وشأن الحق هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند ودستور التعاون هو الإسراع لنجدة الآخرين، وشأن الدين هو الأخوة والتقارب، وشأن السيطرة على الأهواء والنزوات، وتشويق الروح للكمالات هو سعادة الدارين»[1].

---

(1) الكلمات، بديع الزمان النورسي، ص١٤٥.

نستطيع تلخيص هذه المقارنة بالشكل التالي:

المواضيع الأساسية	الغرب العلماني		حكمة القرآن	
	المبدأ	النتيجة	المبدأ	النتيجة
قاعدة وأساس الحياة	القوة	الاعتداء	الحق	الاتفاق
غاية الحياة	المنفعة	المنافسة والصراع	الفضيلة ورضا الله	التساند
العنصر الجامع	العنصرية أي القومية السببية	ابتلاع الآخرين	الدين والوطن والمهنة	الأخوة
مبدأ الحياة	اشباع أهواء النفس	إزدياد الحاجات		سعادة الدنيا والآخرة
	النتيجة: رفاه ٢٠٪ من مجموع البشرية وسفالة ٨٠٪ منها		النتيجة: سعادة الدنيا والآخرة لجميع الناس.	

لقد حاول النورسي أن يجعل من القرآن أكبر مرجع في تصحيح عقيدة الأمة وثقافتها وفي تأسيس مدنيتها. وأشار بشجاعة كبيرة وبثقة إلى أن القرآن الكريم هو البديل الوحيد للمدنية الغربية، وأن الحياة البشرية لن تستطيع الاستغناء عنه[1].

٦. تطبيق وعيش الحياة الإسلامية فعلياً: يجب فهم الإسلام كصراط مستقيم بعيداً عن الإفراط والتفريط، وتطبيقه فعلياً كأسلوب حياة.

يقول النورسي: «لو قمنا بشرح الإسلام الصحيح، ووضعنا أمام الأنظار الاستقامة اللائقة بالإسلام لدخل الأجانب إلى الإسلام أفواجاً أفواجاً»[2].

وكان من أهم دساتيره التي رآها وسيلة للتوفيق الإلهي هو اتخاذ الإخلاص أساساً، والانشغال بنشر الحق والوعي بدلا من الانشغال بعيوب الآخرين، والتمسك بالأخوة الإسلامية والاتفاق مع أهل الحق[3].

---

(١) المصدر السابق، زياد الدغامين، ص٣٠٣.

(٢) السيرة الذاتية، ص٧٧.

(٣) اللمعات، بديع الزمان النورسي، ص ٢٢٩.

٧. كان النورسي يرى أن العنصرية مرض من أمراض الفرنج دخل إلينا من أوروبا[١]. وأن هذا المرض سرى إلى العالم الإسلامي بفضل دعايات وجهود غير المسلمين، وكان هدفهم هو تمزيق المسلمين والحيلولة دون تشكيلهم قوة دولية. لذا فقد صرف جميع حياته في سبيل الوحدة الإسلامية، حتى أنه قبل سقوط الدولة العثمانية قدم اقتراحا بتشكيل مؤسسة دولية «للجمهوريات الإسلامية المتحالفة»، وقد كانت حركته والمنتسبون لجماعته من مختلف العناصر والقوميات. وكان هو من أصل كردي وكذلك آلاف من طلابه، ومع ذلك لم يقربوا أبداً من فكرة القومية الكردية، وهذا يبين مدى نجاحه في هذا الموضوع.

٨. لقد علمته تجاربه في الحياة والشروط والظروف المحيطة بمجتمعه ضرورة بقائه بعيداً عن الفعاليات السياسية، وضرورة توجهه إلى الخدمات العلمية والإيمانية؛ لأنه رأى أن المنتسبين إلى الأحزاب في العالم الإسلامي قد يتصرفون تصرفات خارجة عن الموضوعية والإنصاف، وهذا يؤدي إلى الإخلال بالإخلاص والبعد عن رضا الله تعالى[٢].

ثم إن المسؤولين في الدولة لا يتصرفون بإنصاف تجاه المشتغلين بالسياسة؛ لأنهم يرونهم طامعين في المواقع والمناصب التي يحتلونها. وعلى الرغم من كونهم مسلمين إلا أنهم لايتورعون عن الدخول في صراع مرير ضد الخدمات الدينية والاجتماعية لهؤلاء. والخلاصة أن السياسة تستطيع أن تظهر الملاك شيطاناً والشيطان ملاكاً.

نرى أن نسبة أنصار الإسلام في المجتمعات الإسلامية تقرب من ٩٪، إلا أن أنصار الأحزاب الإسلامية تقل عن هذه النسبة بكثير، وهذا الأمر إشارة إلى الحقيقة التي ذكرناها.

من الصعب رؤية مثال حول استلام إدارة الدولة بالطرق السياسية. وكما يقول الأستاذ «سعيد رمضان البوطي»: «...ثم كانت نتيجة هذه النتائج كلها أن استغلقت السبل أمام هؤلاء إلى ما يحلمون به من إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، بل

---

(١) المكتوبات، بديع الزمان، ص ٤٠٣-٤٢٤.

(٢) ملحق اميرداغ، بديع الزمان النورسي، ص٢٦٦.

ازدادت الشقة بينهم وبينها عمقاً وتضاعفت العوائق التي كانت تحول بينها وبينهم. فلا الجاهلون والتائهون تخلصوا من جهلهم وتيههم لينعطفوا إلى الارتباط بالإسلام، ولا القادة والحكام وثقوا بسلامة قصدهم الإسلامي وصدق ولائهم للإسلام، بل استيقنوا في أنفسهم أنهم ليسوا إلا صنفاً متميزاً من هواة السياسة وعشاق الحكم، وإن اخترعوا لأنفسهم إلى ذلك سبلاً خداعة جديدة... ولا هم -أي هؤلاء الإسلاميين- أبقوا على شيء من صفاء الإخلاص لدين الله»[1].

لقد بقيت جهود النورسي وفعاليته -وإن كانت في حدود ضيقة -في إطار القانون على الدوام، في عهد كانت فيه ضغوط كبيرة ضد فعاليات المتدينين ولم يخرج أبداً خارج القانون.

ومع أنه تم فتح ٢٥٠٠ دعوى قضائية ضده إلا أنها جميعاً تقريبا انتهت بالبراءة. وكان هذا لطف من الله وعناية منه، ونتيجة لاتباعه طريق الحكمة في العمل.

لم يترك النورسي الساحة لمعارضيه، بل استمر في تقديم خدماته الإيمانية، وإلا لنبذ خارج الساحة. وهذه ناحية مهمة في هذا الأمر، حتى وصل الأمر إلى قيام رئيس الجمهورية الثاني (عصمت إينونو) باعتراف يُفهم منه أن السياسة الكبيرة غلبت السياسة الصغيرة، فعندما خسر «حزب الشعب الجمهوري»، الذي يتزعمه الانتخابات عام ١٩٥٠م قال : «لقد أسقطنا النوريون» (يقصد حركة النورسي). ولم يستطع هذا الحزب من ذلك الوقت حتى الآن إحراز الأكثرية في أي انتخاب.

إذن معنى هذا أنه يمكن القيام بفعاليات الإرشاد دون الدخول في السياسة، بل باحتضان جميع المسلمين وفتح الحوار مع الجميع، والقيام بفعاليات إيجابية في ظل مرونة الإسلام وسماحته وشفقته، وإشعار ثقل الحركة من بعيد، وهذا أفضل طريقة في أداء الخدمة الإيمانية.

---

(١) تجربة الدعوة عن طريق العمل السياسي في حياة بديع الزمان، سعيد رمضان البوطي، المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، ص١٠٦.

إن مفهوم الجهاد مفهوم واسع، فحسب تصنيف ابن قيم الجوزية[1] هناك مراتب في الجهاد :

١. **الجهاد مع النفس:**
أ- تعليمها دين الحق. ب- تطبيق ما تم تعلمه.
ج- تبليغ وتوضيح ذلك للآخرين. د- الصبر على مكاره التبليغ.

٢. **الجهاد مع الشيطان:**
أ- الابتعاد عن الشهوات والأهواء التي يدعو إليها. ب- إبعاد شبهاته.

٣. **الجهاد مع الكفار:**
أ- بالقلب. ب- باللسان.
ج- بالمال. د- بالنفس.

٤. **الجهاد مع المنافقين:**
أ- بالقلب. ب- باللسان.
جـ- بالإقناع.

والخلاصة أن بديع الزمان قام بالجهاد بجميع أنواعه، إذ جاهد بالنفس وقاتل أيضاً (وهو أول ما يتبادر إلى أذهان البعض عند ذكر كلمة الجهاد). واستطاع بهذا الفهم الممتاز والشامل كسب قلوب الملايين للإسلام.

في سنة ١٩٠٩م نشر بديع الزمان رسالة «فهرست مقاصد بديع الزمان» وطوال خمسين سنة التي تلتها؛ أي حتى نهاية عمره حاول تطبيق خططه التي نستطيع تلخيصها بما يلي:

١. تأمين النهضة التي تدفع العالم الإسلامي إلى الرقي.
٢. تأمين التلاؤم والتناغم بين المؤسسات الرئيسة الثلاث للمسلمين، وهي المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والتكايا.
٣. تأسيس الحرية في الأوساط العلمية.

---

[1] زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ٣ /٩-١١.

٤. محاربة أعدى أعداء المجتمع العثماني: (الجهل، والفقر، والفرقة) بطرق التربية والعلم والصناعة.
٥. إصلاح مقام الخلافة.
٦. فتح شعب متخصصة في المدارس الدينية.
٧. الحيلولة دون تحّول الدولة العثمانية إلى مجموعة من الإمارات، وذلك بنشر فكرة "الاتحاد المحمدي ".
٨. تأمين وحدة الأمة وذلك بتأليف قلوب الأكراد والاستفادة من هذه القوة.

لقد ذكر بديع الزمان أنه بعد إعطاء الأهمية لأسس الإيمان في أثناء أداء الخدمة الإسلامية ستأتي "مرحلة الحياة ".واستمر طلابه بعده في أداء رسالته ودعوته ولاسيما الشيخ **"محمد فتح الله كولن"**، الذي قدم خدمات كبيرة في مجال تطبيق أفكار أستاذه في الواقع العملي، وفي الحياة الاجتماعية وعلى نطاق شعبي واسع. فعلاوة على المئات من المؤسسات التعليمية التي أنشأها في تركيا، فقد أنشأ ما يزيد على مائتي معهد في خارج تركيا، مما أثار الأنظار إليه في العالم. وهذه المعاهد التي انتشرت من ألبانيا إلى البوسنة والهرسك إلى منغوليا وياقوتستان، ومن اليونان إلى تايلند؛ أي على مساحة جغرافية شاسعة من العالم تفوز بالمراتب الأولى في المسابقات العلمية الدولية، مبرهنة بذلك على مدى ارتفاع المستوى العلمي لها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

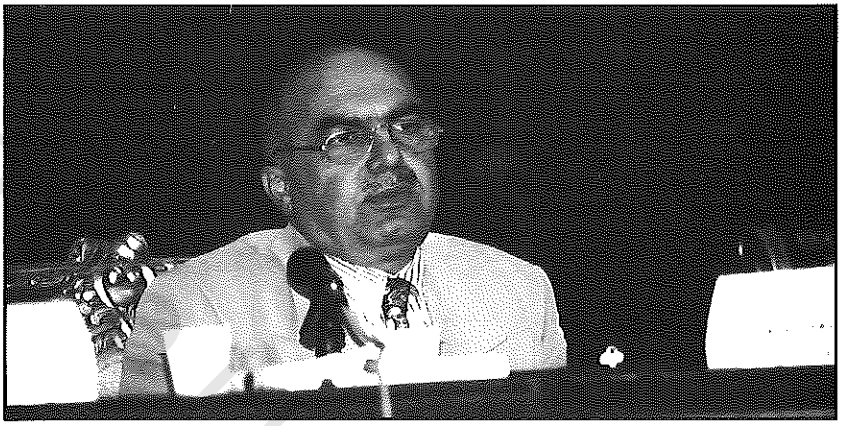

د. سعاد بيلديرم: في حوار مع الجمهور.

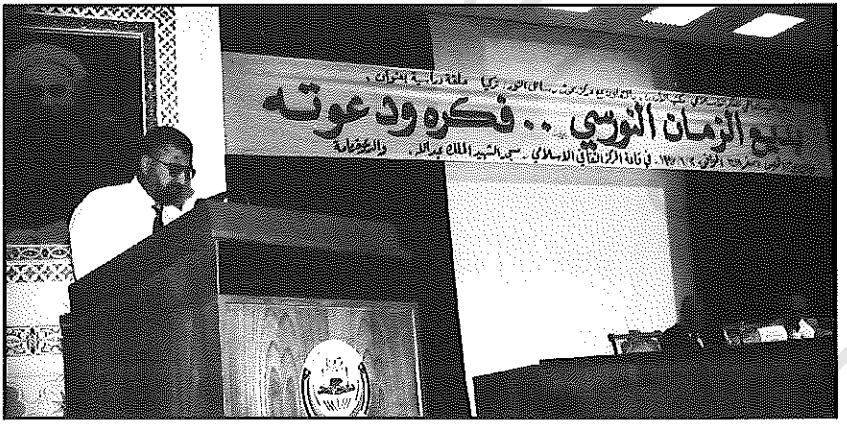

د. رحيل غرايبة: في تعقيبة على ورقة د. سعاد بيلديرم.